برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة (11)

الثلاثاء : 17 شهر رمضان 1438هـ الموافق : 2017/6/13م

✤ مِن المطالب المُهمّة جدّاً التي مرّتْ الإشارة إليها في الحلقة السابقة: ما جاء في الآية 29 من سُورة الأعراف، قولهِ تعالى: {**و أقيموا وُجوهكم عند كُلّ مَسجد**}. وما جاء في الآية 31 من سورة الأعراف أيضاً قولهِ تعالى: {**يا بني آدم خُذوا زينتكم عند كُلّ مَسجد**} وتقدّمتْ كلماتُ المعصومين في دِلالة هذهِ الآيات الشريفة وجاء تفسيرهم للمسجد بالإمام المعصوم.. وفي حينها قلتُ: أنّ ساحة الثقافة الشيعية تفتقرُ إلى ثقافة الكتاب والعترة فيما يرتبط بالمسجد والمساجد.. ووعدتكم أن أتناول الموضوع في هذهِ الحلقة.

ولكن بما أنّ الموضوع مُهم وقد يحتاجُ إلى تطويل.. لِذلك أجّلتُ هذا الموضوع لِحلقة يوم غد مِن برنامج [سؤالك على شاشة القمر] لأنّي سأجيب في برنامج [سؤالك..] على سؤالٍ مُرتبط بنفس الموضوع.. لهذا حوّلتُ الحديث عن ثقافة المساجد في ثقافة الكتاب والعترة لحلقة يوم غد، حتّى أُبيّن أنّ ثقافة أهل البيت أجنبيةٌ عمّا هو مَوجود في ساحة الثقافة الشيعية.. تابعوني يوم غد وستنتفعون انتفاعاً كبيراً مِن الحديث حول ثقافةِ المَسجد والمساجد في ثقافةِ الكتاب والعِترة.

✤ أعود للحديث.. وصلنا إلى الآية 32 {**قلْ مَن حرّم زينة الله التي أخرجَ لعباده والطيّبات مِن الرزق قلْ هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة كذلك نُفصّل الآيات لقومٍ يعلمون**}

الذين آمنوا - هُم أولياء أهل البيت - هَؤلاء يُشاركون أهل الدنيا في زينة الدنيا وفي طَيّباتها.. يُشاركونهم في نَعيمها وشقائها.. فإنّ وصف (الذين آمنوا) هو وصفٌ خاصّ بأولياء أهل البيت. الجَميع يُصيبهم البَلاء، الجميع يُصيبهم المَرض، الجميع يُمكن أن يَغرقوا ويَتعرّضوا لِحوادث السَّير وحوادث الطائرات وغيرها.. والجميع أيضاً يُمكن أن ينالوا الرفاهية في الحياة.. (وأعني بالجميع: أي "الذين آمنوا" وغيرهم أيضاً..) لا تُوجد خصوصية للذين آمنوا، ولا تُوجد خُصوصية لِغيرهم.. هذهِ هي الدُنيا.

نحن في الدنيا تحكمنا قوانين.. يُمكن أن يكون الغنى سبباً لصلاح المؤمن، ويُمكن أن يكون سبباً لفساده.. وكذا لِغير المؤمن، يُمكن أن يكون الغنى سَبباً لأن يذهب بعيداً في ضَلالهِ ولأن يرتكب المجازر والجرائم وأن يفعل ما يفعل.. ويُمكن ويُمكن.. الدنيا بقوانينها تعم الجميع (ما بين الغنى والفقر، ما بين الصحة والمرض، ما بين السلامة والموت والقتل، إلى سائر التفاصيل والعوارض التي تُحيط بحياتنا في جانبها الإيجابي أو في جانبها السلبي) كذلك هي الزينة والطّيباتُ في هذهِ الحياة.

● {**قلْ مَن حرّم زينة الله التي أخرجَ لعباده والطيّبات مِن الرزق**} وكأنّ الآية تردّ على اتّجاهٍ موجود على طول الخطّ في أجواء بني آدم يدعو إلى مُحاربة هذا المضمون يدعو إلى مُحاربة "زينة الله" تحت عناوين مُختلفة، كعنوان: (الزُهد، الرياضة الروحية، تهذيبُ النفوس، السعي وراءَ الحصول حالة مِن النقاء المَعنوي في القلب والوجدان....) وأمثال ذلك ممّا يُقال في أجواء العُبّاد والزُهاد والصوفية والسالكين وفي أجواء العُرفاء وأهل المعنى. ● {**قلْ هي للذين آمنوا في الحياة**} الآية قالتْ هكذا لأنّ الإمام المعصوم أباحها للذين آمنوا، أمّا لِغيرهم فهي ليستْ مُباحة حتّى وإن حصلوا عليها ونالوها بشكلٍ وطريقةٍ هي أقوى وأكثر مِن الطريقة التي ينال المُؤمنون حُظوظهم مِنها.. فالدُنيا وما عليها هي للإمام المعصوم، فما أباحهُ المعصوم لأحدٍ مِن المؤمنين أو غيرهم فهو مُباحٌ له.. وما مَنعهُ عن أحدٍ من المؤمنين أو مِن غيرهم فهو ممنوعٌ عليه.

الدنيا للإمام المعصوم يُريد أن يُبيحها للمُؤمن، يُريد أن يُبيحها للكافر، القَضيّة راجعة إليه.. ولكن الآية تتحدّث عن أنّهم "صلواتُ الله عليهم" يُبيحونها للذين آمنوا.. وربّما أباحوها لغيرهم، الأمر راجعٌ لهم "صلواتُ الله عليهم". (إيابُ الخَلْق إليكم، وحسابُ الخَلْق عليكم) وتعبير "الخلق" ليس مَحصوراً بالبشر فقط بل يشمل كُلّ الكائنات.

● {**والطيّباتُ مِن الرزق**} أمّا الطيبات فما أحسّتْ النفوس بِطيبها.. هذه هي الطيّبات، ولِذا ما تستخبِثهُ النُفوس قد يُحكم بِحُرمتهِ.

● {**قُلْ هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خَالصةً يوم القيامة**} في يوم القيامة هي خالصةٌ لهم.. ففي يوم القيامة الذين يتمتّعون في الجنان هم الذين آمنوا.. وسيأتي الحديث عن أهل الجنّة والنار لاحقاً حين نصِل مثلاً لهذه الآيات: {**ونادى أصحابُ الجنّةِ أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً قالوا نعم فأذّن مُؤذن بينهم أنّ لعنةُ الله على الظالمين... ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنّة أن أفيضوا علينا مِن الماء أو ممّا رزقكُم اللهُ قالوا إنّ الله حرّمهُما على الكافرين**} سيأتي الحديث في هذهِ الآيات.

هذا المذكور في هذهِ الآيات هُو نموذج مِن نماذج الطيّبات (الضَرورات) التي تكون خالصةً للذين آمنوا يوم القيامة.

● هل الزهد في أن نصنعَ لأنفسنا حَياةً لا نتمتّع فيها بنعم الله..؟! الزهدُ ليسَ ألا نملك شيئاً.. الزهدُ الحقيقي هو أن لا يملكنا شيء. حينما لا نملكُ شيئاً هذا لا يعني أنّنا زاهدون، فلربّما هذا هو حالنا أنّنا لا نَملكُ شيئاً، ولكنّنا لسنا زاهدين.

الزهد الحقيقي هو أن لا يتحكّم فينا شيءٌ مِن هذه الحياة ويملكنا.

● {**كذلك نُفصّل الآيات لقومٍ يعلمون**} الآيات في أصلها هم "صلواتُ اللهِ عليهم"، ولكن الحديث هنا عن آياتٍ تتجلّى في هذا الظهور التدويني لحقيقةِ الكتاب التي هي في أمّ الكتاب (تلك الحقيقةُ العليّةُ العظيمة). هذه تجليّاتٌ إذا ما تلبّسنا بها بهذه الأحكام، بهذهِ الآداب، بهذا السلوك.. فإنّنا نقتربُ شيئاً فشيئاً مِن تلك الحقيقة العليّة العظيمة.

● وقفة عند حديث الإمام الرضا في [تفسير البرهان: ج3] في تفسير العيّاشي:
(**العباس بن هلال الشامي يسأل الإمام الرضا "عليه السلام" فيقول: قلتُ له: جُعلتُ فداك، ما أعجبَ إلى الناس مَن يأكل الجشب** - القاسي من الطعام الذي لا تكثرُ لذائذه كالخبز اليابس - **ويلبس الخَشِن، ويتخشّع. فقال:**
أما علمتَ أن يوسفَ بن يعقوب نبيٌّ ابن نبيّ، كان يلبسُ أقبيةَ الديباج - نوع من أنواع الحرير- مَزرورةً بالذهب - أي أنّ أزرار الثوب ذهبياً -، ويَجلسُ في مَجالس آلِ فرعون يحكم، فلم يحتج الناس إلى لباسه، وإنّما احتاجوا إلى قِسطه، وإنّما يُحتاج من الإمام في أن إذا قال صَدَق، وإذا وعَدَ أنجز، وإذا حَكَم عدل؛ إنّ الله لم يحرّم طعاماً ولا شراباً مِن حلال، وإنّما حرّم الحرام، قلَّ أو كَثُر، وقد قال الله عزّ وجل : {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)

● قول العبّاس الشامي: (**ما أعجبَ إلى الناس**) أي ما أشدّ إعجابَ الناس بالأشخاص الذين يتّصفون بهذه الأوصاف (يأكلون الجشب، ويلبسون الخَشِنَ مِن الثياب ويتخشّعون..) !

● المُتخشّع هو الذي يتكسّر في مشيتهِ.. فهو مُتخشّع وليس خاشع.. أمّا الخاشع فحالةُ الخشوع عنده تأتي على رِسلها.. يعني يكون الإنسان مُتلبّساً بها مِن دون اختيار بسبب ما يَعيشهُ في وجدانهِ وما يطرأُ عليه في خَلَجاتِ نفسه. أمّا المُتخشّع فهو الذي يتلبّس بهذه الصِفة تكلُّفاً وتعمُّداً.. فهو الذي يتكسّرُ ويتباطؤ في مِشيتهِ، ويتماوتُ في منطقهِ، ويتخاضعُ في حركاتهِ، ويُحاول أن يُظهر خُشوعهِ بنظراتِ عينيه وإطراقه، أن يُسبِل جفنيه، وأن يُطرق بِعينيهِ.. بالنتيجة هناك مجموعة من التفاصيل والحركات يقوم بها المُتخشّع.

في أوساطنا الدينية هُناك مَن يُتقنون هذه الأمور لغايةٍ في نفسهِ. ● لماذا الناس دائماً يبحثون عن الذين يَخدعونهم؟ هذا مِن سوء التوفيق.. لو أنّهم ساروا في طَريقِ محمّدٍ وآل محمّد، أي أخذوا المَعارف منهم "صلواتُ الله عليهم" لَما صاروا بِهذا الحال..!

● قول الإمام الرضا عن النبي يُوسف: (**كان يلبسُ أقبيةَ الديباج مَزرورةً بالذهب**) هذا هو لباسُ المُلوك، ويُوسف كان مَلِكاً، فهو يرتدي لِباس الملوك. **قد يقول قائل:** أنّ الحرير مُحرّم على الرجال..! وأقول: الأحكام تختلفُ مِن عصْرٍ إلى عَصر.. علماً أنّه حتّى الحرير في ديننا ليس مُحرّماً على الرجال بشكل مُطلق.. مثلاً الحرير ليس مُحرّم على الرجال في الحرب.. والحُكم له تفاصيله.

● قول الإمام (**وإنّما يُحتاج مِن الإمام في أن إذا قال صَدَق، وإذا وعَدَ أنجز، وإذا حَكَم عدل**) ما الفائدة مِن المرجع أو مِن العالم أو من الحاكم أن يتظاهر بالزهد والتقشّف وهو يسيرُ في طريقٍ آخر..؟!

■ سؤال قد يتبادر إلى الأذهان هُنا عن زُهد سيّد الأوصياء.. وقد يتبادر سؤال آخر بشأن الروايات والأحاديث التي تُخبرنا عن ظهور إمام زماننا وكيف أنّه حين يُبايع القادة في مكّة الـ313 يشترطُ عليهم في البيعةِ شُروطاً كُلّها تَدور في دائرةِ الزُهد والتقشّف.. وهنا أقول بشأن موقف أمير المؤمنين: أنّ أمير المؤمنين "صلواتُ اللهِ عليه" كان يختطُّ طَريقاً مُخالفاً 100% لطريق الخُلفاء الذين سبقوه.. وما يُذكر في كُتب التأريخ عن زُهْد الخُلفاء الذين سَبَقوه فكلّه كذب.. فأميرُ المؤمنين أراد أن يختطّ طَريقاً يُخالفهم في كلّ صغيرة وكبيرة.. فإنّ الصواب في خِلافهم.

■ موضوع الزُهد والتقشّف موضوع طويل ويَحتاجُ إلى تفصيل.. ولكن هذا لا يعني أنّ الزُهد والتقشّف بالمُطلق ليس صحيحاً.. هناك حالاتٌ مِن الزُهدِ والتقشّف مَطلوبة، وهناك حالات ليستْ مَطلوبة.. والإمام الرضا يُشير إلى الجانب الذي ليس مَطلوباً، بل قد يكون مَذموماً.

أمّا بشأن زُهد سيّد الأوصياء.. فأميرُ المؤمنين "صلواتُ اللهِ عليه" لم يكن مُحتاجاً للزهد، ولكن صلاحُ الأُمّة وسِيرةُ الأُمّة بشكلٍ صحيح وسِيرةُ أُمرائه وأوليائه كي تنضبط كانت بِحاجة إلى برنامج يتمثّل في سيّد الأوصياء، وإلّا فسيّد الأوصياء ليس مُحتاجاً إلى الزُهد. إنّما هو برنامجٌ وسُنّة سارَ بها كي يَقتديَ بها مَن يجب عليه أن يكون هكذا.. وليس كُلّ إمامٍ لابُدّ أن يكون هكذا.. فإنّ سيرةَ الباقين مِن المعصومين ما كانت هكذا.. (ظرفُ الأمّة، الظرفُ الزماني، المُلابسات الشخصية، وشؤون أخرى) كلّ هذه الأمور تُؤخذ بنظر الاعتبار لِحركة الإنسان باتّجاه الزُهد أو لِعدم حركتهِ بهذا الاتّجاه. فما جاء في القرآن وحديث الإمام الرضا لا يتناقضُ مع السِيرة العَلَوية أو ما جاء في الأحاديث الخاصّة بشؤونات إمام زماننا. ● نَحنُ بِحاجةٍ إلى ثقافةٍ صحيحةٍ وأصيلةٍ نستلّها مِن فِكْر آل محمّد، هذا الفهم من أنّ الزهد ممدوح على كُلّ حال، هذا فهم صوفيٌّ، وليس مِن ثقافة آل محمّد.. والثقافة الصوفية شطْرٌ منها كذب وخداع..! زعماء الصوفية مِن النواصب كانوا يتظاهرون بهذا.

(وقفة عند قصّة سُفيان الثوري مع الإمام الصادق).

■ {**قل إنّما حرّم ربّي الفَواحش ما ظَهَر مِنها وما بَطن والإثمَ والبَغي بغيرِ الحقّ وأن تُشركوا باللهِ ما لم يُنزّل به سُلطاناً وأن تقولوا على اللهِ ما لا تعلمون**}. مرّت علينا الآية 28 {**وإذا فَعَلوا فاحشةً قالوا وَجَدنا عليها آباءنا واللهُ أمرنا بها قُلْ إنّ الله لا يَأمرُ بالفحشاء أ تقولونَ على اللهِ ما لا تعلمون**} وكان الحديث في أجواء الولاية والبراءة.

● الآية تحدّثتْ عن عناوين مُختلفة مِن الفَواحش.. {**قل إنّما حرّم ربّي الفَواحش ما ظَهَر مِنها**} بحسب ما جاء في كلمات أهل البيت أنّ ما ظَهَر مِن الفواحش: هو الزنا المُعلَن الواضح (العلاقة الجنسيّة بين رجل وامرأة من دون ضوابط شرعية).. وسائر المعاني الأخرى التي تكون واضحةً وظاهرة في الحياة الاجتماعية والأخلاقية.. فقولهِ {**ما ظهر منها**} أي ما كان ظاهراً وهي المعاصي المُعلَنة.
أمّا قولهِ {**وما بَطَن**} فالمُراد منها (المعاصي المُقنّعة). مثلاً : من المعاصي المُقنّعة في زمان النبي قبل التحريم.. كان الناس في الجاهليّة يتزوّجون نساء آبائهم.. يعني يتزوّجون ضرائر أمّهاتهم.. الروايات ذكرت هذا مصداقاً للفواحش الباطنة (وهذا الحديث بحسب ظاهر الآية وظاهر الأحكام).

● أمّا الإثم فهي الخَمر قَطعاً.. كما يقول الإمام الكاظم "عليه السلام" في [الكافي الشريف: ج6]: (**وأمّا الإثم فإنّها الخَمرُ بعينها**..).
هناك مَن يقول أنّ القرآن لم يُحرّم الخَمْر بشكلٍ صريح وبنحوٍ خاص.. وأقول: هذه الآية تُحرّم الخَمْر بشكل صريح وبنحوٍ خاص.. فالإثم هو اسم مِن أسماء الخمر.. وليس اسماً قرآنياً.. فالعربُ كانت تُطلق هذا الإسم على الخَمْر.
(**شربتُ الإثمّ حتّى ضَلّ عقلي** كذاك الإثمُ تفعلُ بالعقولِ**) هكذا يقولون في أشعارهم.

● بالنسبة للمعاصي المُقنّعة.. تُوجد مَعاصي مُقنّعة في زَماننا هذا.. ما يُسمّى مثلاً في أوساط المؤسسة الدينية بالحِيَل الشَرعية.. هذهِ من مصاديق المعاصي المُقنّعة.

● {**والبغي بغير الحق**} البغي هو الظُلم.. هو أن يتجاوز الإنسانُ على حَقّ غيرهِ فيعتدي إمّا على حقٍّ شخصي أو على حقٍّ عام.
هناك مساحة لنا مِن الحُقوق، من الحُرّيات، مِن الملكية، مِن حُريّة التصرّف في شؤون المعاش والحياة اليومية.. تلك حدود حقّنا.. إذا تجاوزنا هذهِ الحدود إلى حقوق الآخرين (إن كان ذلك الحقّ حقاً فردياً شخصياً أو كان حقّاً عاماً) فهذا هو البغي.

■ من أقوى العوامل التي تجعلُ الإنسان غاطِساً في دَائرة الخذلان، وتُخرجه من ساحة محمّدٍ وآل محمّد هو: البغيُ بغير الحقّ.
سببٌ قويٌ جدّاً من أسباب أن يتحوّل إيمان الإنسان مِن إيمان مُستقرّ إلى إيمان مُستودع هو البغي.. وبالدرجة الأولى: البغيُ على حُقوقِ مُحمّد وآل مُحمّد وهو مِن أخطر أنواع البغي!
• وكذلك البغيُ على أولياء أهل البيت لكونهم يُوالون أهل البيت ويبرؤون مِن أعدائهم.
• وأيضاً البغيُ على مَن هُم تحت سُلطتنا (بغي الزوجُ على حقّ زَوجتهِ، بغي الوالد على حقوق أولاده، أو بغي الأولاد على حقوق آبائهم وأُمّهاتهم إذا كانوا تحت رعايتهم، تحت سُلطتهم..) أشدُّ أنواع البغي هي هذهِ المصاديق التي تحدّثتُ عنها.. فهذا البغي هو من أقوى الأسباب التي تُخرجُ الإنسان مِن إيمانهِ المُستقر وتدفعُ بهِ إلى الإيمان المُستودَع الذي يُسلَبُ منه في غالب الأحيان عند الموت!

● قولهِ تعالى: {**وأن تُشركوا باللهِ ما لم يُنزّل به سُلطاناً**} أي ما لم يُنزّل به دليلاً وحُجّة مِن قوّتها تكون حاكمةً على العقول، الذي يحكم على العقل: هو الدليلُ الواضح، الحقّ الصريح، العلم الناطق، المعرفة الوضّاءة.. هذهِ هي التي تكونُ سُلطاناً على العقول وتخضعُ العقول لها.
ومن هنا جاءتنا الروايات والأحاديث تقول أنّ الأنبياء والرُسل حُجّةٌ ظاهرة، والعقول حُجّةٌ باطنة.. والأنبياء يُثيرون دفائن العقول.

● أقوى درجات الشرك في ثقافة أهل البيت، وأخبثها وأنجسها وأعلاها هي: مَن ادّعى الإمامة.. هذهِ أعلى درجات الشرك.
وحديثي عن الإمامة التي هي إمامةُ أهل البيت.. فليس الحديثُ هُنا عن إمامة عُرفية.. فالحاكمون الظالمون ربّما يدّعون الإمامة ولكنّهم لا يَقصدون بها إمامة أهل البيت. أنا أتحدّث عن الخُلفاء، عن السَقيفة وعن المُدَّعين عِبر التأريخ إلى يومنا هذا.
أخبثُ وأخطرُ وأنجسُ وألعنُ درجات الشِرك ادّعاءُ إمامةِ آل محمّد..

● ودُون هذهِ المَرتبة الأخطر والأعلى مِن الشرك: الإعتقادُ بإمامةِ هذا المُدّعي (فهذا شِركٌ أيضاً، ولكن دُون شِرك المُدّعي).

● وأيضاً منزلةٌ خطيرة من منازل الشرك: تنصيبُ الناس إماماً هو ليس بإمام من الله، ويدّعون له إمامةَ مُحمّدٍ وآل محمّد، ثُمّ يتّبعونه! (هذهِ أخطرُ مراتب الشِرك). وكُلّ هذه المراتب لا دليلَ عليها.
(فهذا الذي يدّعي الإمامة لا يملك دليلاً، وهذا الذي اعتقد به لا يملكُ دليلاً، والأمّة حين نصّبتْ إماماً لا تملكُ دليلاً، ونفس الإمام الذي نصّبوه لا يَملكُ دليلاً، وحينما يتّبعونه لا يملكون دليلاً.. ليس هُناك مِن سُلطان..)

وهذا الكلام يقودنا إلى "جعفر الكذاب"، حين ذهب إلى الخليفة العبّاسي وحَمَلَ معهُ أموالاً كثيرة، وطلبَ مِن الخَليفة العبّاسي أن يُنصّبه إماماً على الشيعة، وقدّم هذهِ الأموال هَديّةً للخَليفة.. فإنّ الخليفة العبّاسي قال له:
هل عندك ما كان عند أخيك من المواهب والقُدرات والقابليات التي كان يملكها الحسن العسكري أيّام حياته قبل شهادته..؟ هل تملك مثل هذه القُدرات؟ قال: لا. قال له الخليفة العبّاسي: إذن خُذ أموالك واخرج.
إذا كُنت تملكُ مثلما كان يَملك أخوكَ مِن المواهب فأنت لا تَحتاجُ إلينا في أن نُنصبكَ إماماً.. أنتَ ستكون إماماً لهم وسيقبلون بك.
وإذا كنت لا تملكُ ما كان يَملك أخوك، فلا هذهِ الأموال تنفعكَ ولا نَحنُ بحاجةٍ إليها، ولا نَحنُ بقادرين على أن نُنصبك إماماً لهم..
والسبب: لأنّ الإمام العسكري كان يملكُ سُلطاناً ودليلاً على العقول برغم أُنوفهم. (هذا هو السلطان الذي تتحدّث عنه الآيات).

● حينما يدّعي أحدٌ الإمامة، وحينما يَعتقدُ أحدٌ بهِ، وحينما تُنصّب الأمّة إماماً، وحينما تتبّع الأمّة الإمام الذي نصّبته، فإنّ الذي يترتّب على ذلك هو أن يفتروا على الله (أن يأتوا بأحكام، وأفكار، ومفاهيم، وعقائد، وأكاذيب...) هذه هي الفواحش التي حرّمها الله.. وجاءتْ مقرونةً بالخَمْر والبغي بِظُلم الآخرين، والزنا. هذهِ الآيةُ تنطِبقُ على أعداءِ آل محمّدٍ مُنذُ يوم السقيفةِ وإلى يَومنا هذا.. كُل الفرق وكُلّ المجموعات.. ومن أوضح المجموعات التي عادتْ آل محمّد ونافرتهم "الخَطّابية" وهذهِ الآية تنطبقُ على الفِرقة الخطّابية بالكامل بكلّ تفاصيلها.. من يعرف شُؤون الخَطّابية البغيضة اللّعينة سيجد المضامين المَوجودة في هذهِ الآية تنطبقُ عليها بالكامل.
وتنطبقُ أيضاً على كُلّ الفِرَق والمَجموعات التي نافرتْ مُحمّداً وآل مُحمّد عِبْر التأريخ مُنذ السقيفة وإلى هذه اللّحظة.

■ وقفة عند معنى هذه الآية {**قل إنّما حرّم ربّي الفَواحش ما ظَهَر مِنها وما بَطن...**} في [تفسير العيّاشي]: (**إنّ القُرآن لهُ ظَهْر وبَطْن، فجميعُ ما حُرّم في الكتاب هُو في الظاهر والباطنُ مِن ذلك أئمة الجَور، وجميعُ ما أحلّ في الكتاب هُو في الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق**).

● قول الرواية (**فجميعُ ما حُرّم في الكتاب هُو في الظاهر والباطن**) يعني كُلّ الكلام الذي ذكرتهُ بخصوص هذه الآية هذا هو ظاهرُ القرآن.. وباطِنُ ما جاء مُحرّماً بِظاهر القرآن هم أئمةُ الجور مِن السقيفة وإلى يومنا هذا. علماً أنّ حتّى ظاهر الكتاب يجبُ الإلتزامُ بهِ.. وإلّا لِماذا جاء إلينا..؟!
ونَحنُ نُعاهدُ أهل البيت دائماً، ونقول: (**إنّي مؤمنٌ بِظاهركم وباطنكم**).. أساساً الكتاب في بُعدهِ التدويني هو ظاهرهم فقط.. باطنهم في أمّ الكتاب (تلك الحقيقةُ العليّةُ العظيمة).

● قول الرواية (**وجميعُ ما أحلّ في الكتاب**) يدخل في هذه العبارة "ما أحلّ الله" جميع ما أوجبهُ الله وما أباحه.. فعنوانُ الحلال عنوان أوسع.
عنوان "الحلال" إذا أردنا أن نَضَع أصنافاً للحلال (أي الذي يحلّ للإنسان أن يفعله) فالواجب هو أعلى درجات الحلال.. وأيضاً يقع تحت هذا العنوان بعد الواجب يأتي: المُستحب، والمُباح، والمكروه أيضاً.. المُراد من "الحلال" هو ما يحلّ للإنسان فِعله.
أمّا الحرام فهو الذي يُمنع الإنسان منعاً باتاً أن يأتي بهِ.. ولِذلك هو عنوان واحد فقط وهو (المحرّم) فحتّى المَكروه لا يَدخلُ تحته..
وإذا ما أدخلناه فهو يدخلُ مجازاً تحت عنوان "المُحرّم".. أمّا المكروه في حقيقتهِ فيدخل تحت عنوان "الحلال".

✤ **وقفة عند أحاديث أخرى لتوضيح هذهِ الصُورة :**

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق مع داود الرقي في [تفسير البرهان: ج1]
(**عن داود بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله أنتم الصلاة في كتاب الله عزّ وجل؟ وأنتم الزكاة؟ وأنتم الحج؟ فقال: يا داود نحنُ الصَلاةُ في كتابِ الله عزّ وجل ونحنُ الزكاة ونحنُ الصيام ونحنُ الحجّ ونحنُ الشهْر الحرام ونحنُ البلد الحرام ونحنُ كعبةُ الله ونحنُ قِبلةُ الله ونحنُ وجهُ الله، قال الله تعالى: {فَأينما تُولّوا فثمَّ وجْه الله}. ونحنُ الآياتُ ونحنُ البيّنات.**
وعدوّنا في كتابُ الله عزّ وجلّ الفحشاءُ والمُنكر والبغي والخَمْر والمَيسر والأنصابُ والأزلام والأصنام والأوثان والجبتُ والطاغوتُ والمِيتةُ والدم ولحمُ الخِنزير.
يا داود إنَّ الله خَلَقنَا فأكرمَ خَلْقنا وفَضَّلنا وجَعَلنا أُمناءه وحَفَظَتهُ وخزّانهُ على ما في السماوات وما في الأرض، وجعلَ لنا أضداداً وأعداء فسمّانا في كتابهِ وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنيةً عن العدوّ - أي تمييزاً وإخفاءً عن العدو- وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضربَ لهم الأمثال في كتابهِ في أبغضِ الأسماء إليهِ وإلى عبادهِ المُتّقين)

■ حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام في [تفسير البرهان: ج1]: (**نَحنُ أصْل كلّ برّ، ومِن فُروعنا كُلّ برّ، ومِن البرّ: التوحيد والصلاة والصيامُ وكظْمُ الغَيظ والعَفو عن المُسيء ورحمةُ الفقير وتَعاهد الجار والإقرارُ بالفَضْل لأهله.**

وعَدوّنا أصْلُ كلّ شرّ، ومِن فُروعهم: كلّ قبيح وفاحشة، فَهُم الكَذب، والنَميمةُ، والبُخل، والقطيعة وأكل الربا، وأكلُ مال اليتيم بغير حقّ، وتَعدّي الحدود التي أمرَ الله عزّ وجلّ بها، وركوبُ الفواحش ما ظهرَ منها وما بطن: من الزنا والسرقة، وكلّ ما وافقَ ذلك من القبيح، وكَذِبَ مَن قال: إنّه مَعنا وهو مُتعلّقٌ بفرع غيرنا).

● قول الإمام (**وكَذِبَ مَن قال: إنّه مَعنا وهو مُتعلّقٌ بفرع غيرنا**) هذا قانونُ آل محمّد.. هذا فكر آل محمّد، وهذا فِكرهم.
وأيضاً كَذب مَن قال أنّهُ مَعَنا ولا يتعلّق بفروعنا (لا يلتزمُ بصلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجّنا وسائر التكاليف الأخرى...)

● فالآية 33 من سورة الأعراف ظاهرها صار واضحاً، فهي في فروع أعداء آل محمّد {**قل إنّما حرّم ربّيَ الفَواحش ما ظَهَر مِنها** - الزنا، اللّواط، وأمثال ذلك..- **وما بَطن** - المعاصي المُقنّعة - **والإثمَ** - الخمر - **والبَغي بغيرِ الحقّ** - الاعتداء على حقوق الآخرين ابتداءً من آل محمّد، وانتهاء بالرعيّة الذين تحت مسؤوليتنا - **وأن تُشركوا باللهِ ما لم يُنزّل به سُلطاناً** - بيّنت المراد من الشرك وأعلى مراتبه - **وأن تقولوا على اللهِ ما لا تعلمون** - الأكاذيب التي تترتّب على الشرك-}.
كل هذا فروع لأعداء آل محمّد، فمَن تمسّك بفرعٍ من فروع الشرّ هذهِ أو بجميعها فهو كذّابٌ أشر حين يقول إنّني مع محمّدٍ وآل محمّد.
وأمّا باطن الآية بحسب حديث العترة فالحديث كلّه يقودنا إليهم.. فحِين نتبرّأ مِن هذهِ الفواحش التي ذُكرتْ نتبرأ مِنها بأنّنا لا نُقاربها، ولا نُمارسها، وأنّنا نتنفرّ منها عملياً وقلبياً أيضاً.. ونفرّ مِنها.
إنّنا حِين نفرّ مِن هذهِ الفواحش فإنّنا نَفِرُّ مِن فروع أعدائهم.. وتلك هي البراءة.. فكلّما تركنا فرعاً من فروع أعدائهم فإنّنا نبتعدُ عن أعدائهم ونقتربُ منهم "صلواتُ الله عليهم".. وإذا تركنّا كُلّ فروع الشرّ هذهِ، فإنّنا نكون قد ابتعدنا كثيراً عن أعدائهم واقتربنا منهم اقتراباً..
وحينما نتمسّك بفروعهم (بصلاتنا وصيامنا وسائر عباداتنا وتكاليفنا..) كما يُريدون هم "صلواتُ الله عليهم" بأن تكون صلاتنا - مثلاً - كما يُريدون مُزّينة بذكر عليّ في أذانها وإقامتها وفي التشهّد الوسطي والأخير، لا على طريقة الشافعية.. فحينئذٍ نكون قد اقتربنا منهم.

● من أوضح معاني ومصاديق المعاصي المُقنّعة أنّنا نُريد أن نُصلي تُقرّباً إلى الله وإلى مُحمّدٍ وآل محمّد ولكنّنا نُصلّي على طريقة أعدائهم.. أنّنا نُريد أن نلتزم بدين الله ودين محمّدٍ وآل محمّد ولكنّنا نلتزم بدين آخر (هذا هو البغيُّ على حُقوق مُحمّد وآل محمّد).

■ قولهِ تعالى: {**ولكلّ أمّةٍ أجل فإذا جاء أجلُهم لا يَستأخرونَ ساعةً ولا يَستقدمون**} القانون الحاكم هو هذا.
لكلّ أمّةٍ أجل، ولكلّ شيء أجل للأمم للأفراد، وحتّى للنباتات والجمادات.. ما مِن شيء إلّا ولهُ أجل.. والشمسُ تجري إلى أجلها وكذلك القمر، ولكلّ شيء أجل.. ولكن الحديث هنا عن الأمم عن البشر.. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمون.
هُناك أجلٌ مُسمّى، وهُناك أجلٌ غيرُ مُسمّى، وقد تحدّث القرآنُ عن ذلك.. (و ربّما نتحدّث بالتفصيل عن هذهِ العناوين في مقطع قرآنيّ آخر).

● الأجل المُسمّى هو الأجل الواضح الثابت .. كما جاء عن إمامنا الصادق في معنى قولهِ تعالى: {**فإذا جاءَ أجلُهم لا يَستأخرون ساعةً ولا يَستقدمون**} قال "عليه السلام": (**هو الذي يُسمّى لِمَلَكِ الموت**).
الأجلُ غيرُ المُسمّى هو الموجود في صحائف منظومةِ المَحو والإثبات.. وهُنا يتحرّك قانون البَدَاء (الذي يُمثّل أوسع منظومة قانونية في هذا الوجود). أمّا الأجل المُسمّى فالذي يُسمّيهِ لِمَلك الموت والذي يُقسّم الآجال إلى أجلٍ مُسمّى وأجلٍ غيرُ مُسمّى، هو الذي تتنزّلُ عليه الملائكة والروحُ الفاطميّ في ليلة القدر: هو إمامُ زماننا "صلواتُ الله عليه". (في ليلة القدر تُقسَم الآجال، وتُقسَم الأرزاق..)

● نقرأ في سُورة القدر: {**تَنَزّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذن ربّهم مِن كلّ أمر**} ونحنُ نقر في القرآن الكريم {**ألا لهُ الخَلْقُ والأمر**} ونقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**وأمرهُ إليكم**). وأيضاً نقرأ: (**إيابُ الخَلْقِ إليكم وحسابهم عليكم**). كُلّ شيء مردّه إليهم "صلواتُ الله عليهم" الذي يُعيّن ويُحدّد آجال الأمم هو الوجه الذي يبقى ولا يفنى {**ويبقى وجهُ ربّك ذو الجلال والإكرام**} إنّه الحجّة بن الحسن. وهو الذي نُخاطبهُ في دعاء النُدبة الشريف: (**أين وجهُ اللهِ الذي إليه يتوجّه الأولياء**).

● {**لا يَستأخرونَ ساعةً ولا يَستقدمون**} الساعة هُنا ليس المُراد منها الساعة الفلكية.. المُراد مِن الساعة: أيّ مَقطعٍ زماني.
والساعة في لغة العرب تُستعمل لأقّل ما يُمكن أن يُقدّر مِن الزمان.

■ {**يا بني آدم إمّا يأتينكم رسلٌ مِنكم - أي من أبناء آدم - يقصّون عليكم آياتي فمَن اتّقى وأصلحَ فلا خوفٌ عَليهم ولا هُم يَحزنون * والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**} الآيات واضحة بيّنة لا تحتاج أن نقف عندها..

هذا الخطاب هو نفسه الذي جاء في قِصّة الخلافة {**قُلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا يأتيَنكُم مِنّي هُدىً فمَن تبعَ هُداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنون* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**}
والخطاب هنا لأبينا آدم وأمّنا حواء ولنا جميعاً.

- {**فإمّا يأتيّنكم منّي هدى**} نَحنُ على شيءٍ فقط مِن الهُدى، لا نستطيع أن نكون على كامل الهُدى، فكامل الهدى يَحتاجُ إلى عقلٍ كامل.. وأينَ هذا العقلُ الكامل وهذهِ الروايات تُحدّثنا أنّه ما مِن ذنبٍ يرتكبهُ الإنسان إلّا وذهب جُزءٌ مِن عقلهِ لن يعود إليه أبداً..!
- {**يقصّون عليكم آياتي**} أي يُفصّلونها لكم تفصيلاً.. مثلما فصّل أئمّتنا، فكم فصّل أهل البيت في تفسير قرآنهم، ولكنّ علمائنا وفُقهائنا راحوا يركضون وراء المُخالفين ويُفسّرون القرآن بتفسير النواصب!
- {**فمَن اتّقى وأصلحَ**} ألا تُلاحظون أنّ التقوى قَضيّةٌ عقائديةٌ وليستْ عملية؟ وإنّما العَمَل في الإصلاح، لأنّ التقوى في أصلها تعني: ولاية عليّ.. صحيح أنّ ولاية عليّ لا بُدّ أن تتجسّد بفروعها العمليّة، ولكنّ التقوى في أصلها هي ولايةُ عليّ.. بِولاية عليّ نتّقي نار جهنّم.. فمَن اتّقى وأصلح فلا خوفٌ عليهم في الدُنيا والآخرة.. ففي الدُنيا هم مع مُحمّدٍ وآل محمّد، ولا خوفٌ عليهم في الآخرة.
(الفقرُ مع مُحمّدٍ وآل مُحمّد أحبُّ إلينا مِن الغِنى مع غيرهم، والخَوفُ مع مُحمّدٍ وآل محمّد أحبّ إلينا مِن الأمنِ مع غيرهم، والمَرَضُ مع محمّدٍ وآل محمّد أحبّ إلينا مِن الصحّة مع غيرهم، والألم مع محمّدٍ وآل محمّد أحبّ إلينا مِن السلامة مع غيرهم، والمهانةُ الدُنيوية مع محمّدٍ وآل محمّد أحبّ إلينا مِن العزّ الدنيوي مع غيرهم، والضَعْفُ والمذلّة - بنظر أهل الدنيا - مع مُحمّدٍ وآل محمّد أحبّ إلينا من المَنَعة والقوّة مع غيرهم).